مصادر نشأة علم الكلام

١ - المصدر الأول (القرآن الكريم)

بقلم الدكتور

أحمد رفاعى عبد اللاه محمد الوقدى

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

بدسوق - جامعة الأزهر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين الذى أرسله ربه رحمة للعالمين وإمام للمتقين وسيد الخلق يوم الدين وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعـــد،،

فإن العقيدة الإسلامية هى أوثق رباط وأشرف علم يتعلمه المسلم ويعمل به، فالصحابة والسلف لم يجاهدوا وينشروا الدين إلا بهذه العقيدة .

❐ والعلم إنما يشرف لشرف موضوعه، وموضوع العقيدة الإسلامية هو معرفة الله تعالى وصفاته ومعرفة صفات الرسل ومعرفة كل مايكون العلم به عن طريق الوحى، فالعقيدة الإسلامية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن القرآن الكريم يقوى الاعتقاد لدى المسلم فيزيده إيماناً ويقيناً بربه وبنبيه ودينه، وهذا العلم - علم العقيدة أو علم الكلام - نشأ فى عهد النبي ﷺ ولكن لم تكتمل أركانه إلا بعد وفاة النبى ﷺ فظهرت الفتن في البيئة الإسلامية كفتنة الخلافة، والردة، وادعاء النبوة، ومقتل عثمان، وموقعة صفين وغيرها، فكان لزاماً على الأمة الإسلامية أن تنهض لتدافع عن هذا الدين .

❐ فنشأ هذا العلم واكتمل بنيانه وظهرت المؤلفات والكتب التى تدافع عن هذا الدين. وقد أثرت فى نشأة هذا العلم عوامل داخلية وأخرى خارجية كان لها أكبر الأثر فى نشأة وتدوين هذا العلم وظهور مسائله .

❐ وإن لهذا العلم مصادر يستقى منها العلماء آراءهم، ليعمل المسلمون بموجب هذه الآراء المستندة إلى دليل صحيح، وأول هذه المصادر هو الكتاب الخالد القرآن الكريم الذى اشتمل علي العقيدة والشريعة فى مناحى الحياة وتناول الحديث عن قصص السابقين والأمور التى ستقع فى المستقبل،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفتح الآفاق أمام الإنسان وأمره بالنظر فى نفسه وفى كيفية خلقه، ثم أمره بالنظر إلي الكون وحركته ودقته ليصل بذلك إلى أعلى درجات الإيمان بخالق هذا الكون .

❐ فالقرآن إذن شامل لقضايا العقيدة الإسلامية، وقد تناولها فى مواضع إجمالاً وفي مواضع أخرى تفصيلاً فهو جدير بكونه أول مصدر لعلم الكلام، وبجانب القرآن نجد المصدر الثانى وهو السنة النبوية التى تناولت جميع أمور الدين فهى تفصل مجمل القرآن وتوضح ماشق علي العقل فهمه وتقيد المطلق، أى أنها تشرح القرآن وتبين أحكامه، لذا فإن مسائل علم الكلام برعت فى إبرازها السنة النبوية .

وهذا البحث يتعرض بالشرح والتفصيل للمصدر الأول من مصادر علم الكلام ألا وهو القرآن الكريم، ثم نتبعه إن شاء الله ببحث آخر في السنة النبوية المطهرة، وختاماً فإن كنت قد أصبت فمن الله وحده، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسى وأسأله سبحانه العفو والمغفرة إنه نعم المولى ونعم النصير.

دكتـــــور

أحمد رفاعى عبد اللاه الوقدى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

أبدأ هذا البحث بالقرآن الكريم فهو دستور الأمة الإسلامية - عقيدة وعبادة، وأخلاقاً، وعلماً، وهو الذى فتح أذهان أتباعه وأفئدتهم وأبصارهم إلى كل مافى الكون والحياة، وأكثر من دعوتهم إلى الفكر(١) والتأمل والملاحظة والاستقراء والاستنباط والتجربة(٢) أيضاً بالحث على الاستفادة من قصص السابقين أو بالنظر فى سنن الكون .

□ قال تعالى ﴿**إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس ومأأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**﴾(٣) ولما كان الدين الإسلامى ديناً لايعرف الكهانة ولايحكم فيه الأحبار ولاالربانيون ولايتوسطون فيه بين الخالق والمخلوق. فقد قال تعالي ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين**

---

(١) الفكر: هو ترتيب أمور معلومة للتأدى إلى مجهول، انظر الجرجانى التعريفات ص٢١٧، د/ مراد وهبة، المعجم الفلسفى ص٦٩٨ .

(٢) (أ) الملاحظة: هى مايحكم فيه بالحس سواء كان من الحواس الظاهرة أو الباطنة، نفس المرجع ص٦٦٥ .

(ب) الاستقراء لغة: التتبع، اصطلاحاً: الحكم على الكلى لثبوت ذلك الحكم فى الجزئى، انظر التعريفات ص٣٧، المعجم الفلسفى ص٥٥، د/ جميل صليبا المعجم الفلسفى ٧١/١ .

(جـ) التجربة لغة: الاختبار، اصطلاحاً: لها معنيان عام وخاص، العام هو: الاختبار الذى يوسع الفكر، والخاص هو: أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة فى شروط معينة يهيئها بنفسه ويتصرف فيها بإرادته، انظر د/ جميل صليبا المعجم الفلسفى ٢٤٣/١، د/ مراد وهبة، المعجم الفلسفى ١٧٠ .

(٣) سورة البقرة آية ١٦٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون﴾[١] ولما كان الدين الإسلامى لايتجه فى الخطاب بداهة إلى غير الإنسان العاقل فقد ذم الذين لايعقلون - بمعنى الذين لايستخدمون نعمة العقل - فى قوله تعالى: ﴿**إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون**﴾[٢].

❐ إذن جاز لنا أن نقول إن الإسلام دين استخدم العقل فأحسن استخدامه، ومعنى أنه استخدم العقل أو أنه دين العقل ليس بمعنى أن يكون العقل حاكماً أو حكماً على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان والقبول والرفض، بل إن الإسلام دين العقل بمعنى أنه يخاطب العقل بقضاياه ومقرراته ولايقهره ومعنى أنه يخاطب العقل أنه يصحح له منهج النظر ويدعوه إلى تدبر دلائل الهدى وموجبات الإيمان فى الأنفس والأفاق .

❐ يقول الشيخ سيد قطب :[٣]

«يخاطب - أى القرآن - العقل بمعنى أنه يكل إليه فهم مدلولات النصوص التى تحمل مقرراته، ولايفرض عليه أن يؤمن بما لايفهم مدلوله ولايدركه فإذا وصل إلى مرحلة إدراك المدلولات وفهم المقررات، لم يعد أمامه إلا التسليم بها فهو مؤمن أو عدم التسليم بها فهو كافر... وليس له حكماً فى صحتها أو بطلانها... وليس هو مأذون فى قبولها أو رفضها»[٤].

---

(١) المائدة آية ٤٤ .

(٢) الأنفال آية ٢٢ .

(٣) سيد قطب: ولد فى محافظة أسيوط ١٩٠٦، تخرج فى دار العلوم عام ١٩٤٣، عين مدرساً للغة العربية وسافر فى بعثة لأمريكا سنة ١٩٤٨ .
من مؤلفاته: النقد الأدبى أصوله ومبادئه - فى ظلال القرآن، توفى سنة ١٩٦٦ .
موسوعة أعلام مصر، وكالة أنباء الشرق الأوسط، ص٢٤٩ .

(٤) سيد قطب: فى ظلال القرآن، م٣، ٢٦/٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ وبناء على هذا التمهيد يبرز سؤال هو :

هل القرآن الكريم كتاب كسائر الكتب فى أسسه وغاياته، أو هو يختلف عن سائر الكتب ؟

قلت إنه كتاب يختلف عن سائر الكتب السابقة، إذ إنه يشمل أمور الدنيا والدين شمول دوام، وبقاء، وصلاح - داعياً أيضاً إلى التفكير فإذا ماتلونا آيات القرآن الكريم رأيناه:

أولاً: يقص نبأ من سبق من الأمم :

قال تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين**﴾(١).

قال تعالى: ﴿**وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون**﴾(٢).

قال تعالى: ﴿**وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾(٣).

❐ وقد جاءت أمثلة الأمم السابقة متنوعة فى أسلوب الدعوى والآيات التى أيدت النبي وأيضاً كانت متنوعة فى أسلوب العقاب والأخذ، وهذا مرتع خصب لأن يفكر الإنسان المسلم ويعتبر من هذا الاستقراء .

---

(١) سورة هود الآية (٣٥) .

(٢) سورة هود الآية (٥٠).

(٣) سورة هود الآية (٦١) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: ذكر القرآن الكريم ان الأمم السابقة تعاقب فيها الأنبياء والرسل :

قال تعالى فى حق بنى إسرائيل: ﴿لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾(١).

ثالثاً: إخبار القرآن الكريم أن العقيدة واحدة والشريعة واحدة أيضاً وإنما تختلف الأمم فى المنهج والتطبيق :

❐ وهذا دافع إلى إعمال العقل في التفكير والنظر والتدبر للاعتبار بعد عملية الاستقراء التى احتوت عليها آيات القرآن الكريم مثال ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾(٢).

❐ وقال تعالى فى موضع آخر: ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه...﴾(٣).

❐ هذا عن العقيدة، أما عن المنهج فجاء النص بأنه يختلف من أمة إلى أمة قال تعالي: ﴿... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ماأتاكم...﴾(٤).

فبادر المسلمون علي مائدة القرآن الكريم ينهلون من عذب فيض معينها الذى لاينضب مادامت السماوات والأرض، وأقبلوا عليه بعقولهم ليفهموا

---

(١) سورة المائدة الآية (٧٠).

(٢) سورة النساء الآية (١٦٣).

(٣) سورة الشورى الآية (١٣).

(٤) سورة المائدة الآية (٤٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نصوصه وليتدبروا آياته وليطبقوا أحكامه وأخلاقه، وقد جاء فهمهم للقرآن الكريم على طريقتين مختلفتين فى الزمن وفي الأهل .

المسلمون وطرق فهمهم للقرآن :

١ - الطريقة الأولى وزمانها وأهلها :

نستطيع أن نطلق عليها طريقة فهم القرآن نفسه، وهي التى كانت فى الزمن الأول لنزول القرآن الكريم وفى بداية الدولة الإسلامية، وأهلها هم أوائل الصحابة أو لنقل الجيل الأول من الصحابة.

وقد نتج عن هذه الطريقة فيما بعد قضية المحكم والمتشابه[١]، قضية التأويل والتفسير[٢] قضية الظاهر والباطن[٣] الموقف العام للقرآن الكريم من العقيدة والتفكير فيها، ولنا مزيد من التفصيل بعد ذلك من هذه القضية .

---

(١) المحكم: هو ماأحكم المراد به عن التبديل والتغيير أى التخصيص مثل قولهم ماء محكم أى متقن مأمون الانتقاض، التعريفات ٢٦٣، أما المتشابه: فهو ماخفى بنفس اللفظ ولايرجى دركه أصلاً، كالمقطعات فى أوائل السور، التعريفات ٢٥٣ .

(٢) التأويل فى الأصل: الترجيح، وفى الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذى يراه موافقاً للكتاب والسنة، التعريفات ٧٢، المعجم الفلسفى ١٦٤ د/ مراد وهبة ط٤ ١٩٩٨م دار قباء. أما التفسير فهو الكشف والإظهار أى توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذى نزلت فيه يدل عليه دلالة ظاهرة انظر التعريفات ٨٧، المعجم الفلسفى ٢١٣ .

(٣) الظاهر: اسم لكلام ظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة، ويكون محتملاً للتأويل والتخصيص، التعريفات ١٨٥. أما الباطن فهو: داخل كل شئ وجمعه بواطن، المعجم الوجيز صـ٥٥ مجمع اللغة العربية/ وزارة التربية والتعليم ١٩٩٢م، القاموس المحيط ١٩٩٩/٤، الفيروزآبادى ط٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ - الطريقة الثانية زمانها وأهلها :

وهى التى يمكن أن نسميها: فهماً للقرآن الكريم، وأهلها هم الصحابة ولكن المتأخرين من الصحابة، أو لنقل بعد أن ظهر الخلاف على القدر التى كانت بذرته الأولى فى عهد رسول الله ﷺ وهذه الطريقة تتمخض عن: الاستدلال بالقرآن علي مسائل علم لكلام من الإلهيات(١)، النبوات(٢)، السمعيات(٣)، بعض المسائل المتعلقة بالكون، الجدل مع أهل الأديان المخالفة ولنبدأ إن شاء الله تعالى بالطريقة الأولى وماكان من مباحثها ذات أثر فى نشوء أو ازدهار علم الكلام .

١ - قضية المحكم والمتشابه ودورها فى نشأة علم الكلام :

الشئ المسلم به وهو من الأمور البدهية، أن الصحابة لم يخوض فيها وظلوا يهتمون بحفظ القرآن الكريم ونقله، وإن كان لهذه القضية أهلها من الصحابة ولكنهم المتأخرين من الصحابة، أو لنقل بعد أن ظهر الخلاف على القدر التى كانت بذرته الأولى فى عهد رسول الله ﷺ وهذه الطريقة تتمخض عن :

---

(١) الإلهيات: المسائل المتعلقة بذات الله سبحانه وتعالى من الواجبات والمستحيلات والجائزات فى حقه تعالى، ص١٣ توضيح العقيدة، المفيد فى علم التوحيد، شرح الخريدة حسين عبد الرحيم مكى ص١/١٣ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٦م.

(٢) النبوات: المسائل المتعلقة بالرسل عليهم السلام من الواجبات والمستحيلات والجائزات فى حقهم، توضيح العقيدة ٢/١٠ .

(٣) السمعيات: الأمور التى لاتؤخذ إلا بالسماع من الصادق، ولايستقل العقل بإدراكها، وطريق ثبوتها القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، مذكرات التوحيد حسين عبد الرحيم مكي ص٢٤ صححها موسى أحمد اللباد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ الاستدلال بالقرآن الكريم على مسائل علم الكلام بالآراء إيجابية أم سلبية، ففي القرآن الكريم آية وقف الكثير بين يديها، وأمعنوا النظر طويلاً فيها وحولها، وجاءوا بآراء مختلفة فيها، حتى انتهى الأمر بهم إلي أن كانوا فريقين على طرفين مختلفين، أما الآية فهى قوله تعالى: ﴿**وهو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب**﴾[١].

❐ والخلاف الواقع عنها أولاً خلاف في مكان الوقف المترتب عليه فهم الآية أثناء التلاوة وقد انقسموا فيه إلى فريقين :

❐ **الفريق الأول:**

يجعل الوقف لازماً وجوباً عند قوله تعالى ﴿**إلا الله**﴾. بنهاية لفظ الجلالة .

وهم بهذا يقصرون معرفة التأويل في المتشابه علي الله سبحانه وتعالي ويقولون: إن الراسخين فى العلم يقولون آمنا به وينصب قولهم علي أن علم المتشابه يختص به الله فقط .

❐ **الفريق الثانى:**

لايقفون على لفظ الجلالة ويصلون ﴿**إلاالله والراسخون فى العلم**﴾. وهنا يجوزون للبعض معرفة الإفصاح عن بعض ذلك المتشابه وماذا يعنى هذا المتشابه وهذا لأنهم أولوا النص حيث جعلوا الواو للعطف والراسخون فى العلم أعطاهم الله ذلك والتأويل عندهم احكم والتفويض عند السلف أسلم .

* يقول صاحب السراج المنير[٢] فى الإجابة عن سؤال هل كله محكماً:

---

(١) سورة آل عمران الآية (٧) .

(٢) الخطيب الشربينى: شمس الدين فقيه شافعى مصرى، من آثاره «السراج المنير، مغنى المحتاج، ت ٩٧٧هـ، انظرالمنجد فى اللغة والأعلام ص٣٣١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«أجيب: بأن فى المتشابه من الابتلاء حكمة عظيمة وهى التمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، وليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا فى تدبرها، وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات الدرجات العلى عند الله تعالى»[١].

* يقول صاحب كتاب فتح الرحمن:[٢]

«المراد بالمتشابهات: المنسوخات[٣] أو الشرعيات، أو ماكان فى معناها غموض، ويذهب ليعرض لنا الإجابة عن قوله تعالى: ﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾[٤].

❐ وعلى ضوء هذه الآراء المختلفة فى تفسير المتشابه أو فى المعنى المراد باللفظ، والتى جاءت فى جملتها متباينة، وأن الاختلاف فى الرأى لاينتج إلا عن بيئة تعمل العقل في التفكير والتمحيص قبل قبول رأى الغير أو رده وهذا ماأيده القرآن الكريم نصاً فقد شهد للعربى بأنه مستعمل للعقل ومعن للنظر قال تعالى: ﴿**كلا إنه كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعوداً إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس**

---

(١) الخطيب الشربينى: السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم ١٨٧/١.

(٢) أبو يحيى الأنصارى قاضى مصرى مفسر وفقيه شافعى من كتبه فتح الرحمن، تحفة البارى على صحيح البخارى، الدرر البهية شرح البهجة الوردية، انظرالمنجد ٢٧٩، الشعرانى الطبقات الصغرى ٣٦ - ٤٤.

(٣) المنسوجات: جمع المنسوخ وهو من النسخ: فى اللغة عبارة عن التبديل والرفع والإزالة، وفى الشرع، هو أن يرد دليل شرعى متراخياً عن دليل شرعى، مقتضياً خلاف حكمه؛ التعريفات ٣٠٩.

(٤) سورة هود الآية (١)

وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر﴾(١).

❐ فهذه شهادة حق للعربى أنه معمل لعقله منذ نزول الوحى متدبراً ومحاولاً فهم القرآن، وكيف لا؟ وهم عرب خلص يفهمون دلالات الألفاظ وإشاراتها، كأدق مايكون فهمها وأصدقه.

❐ وعليه فنستطيع أن نقرر بما لايدع مجالاً للشك، إن المتشابه والخلاف حوله كان من أسباب قيام علم الكلام، والذى يتلو آية آل عمران يرى أنها لم تحسم الخلاف حول المتشابه، وهذا ماذهب إليه ابن خلدون(٢) فى مقدمته فقال:

❐ «عرض خلاف فى تفاصيل العقائد أكثر مثارة فى الآى المتشابه، فدعا ذلك إلى الخصام، والتناظر، والاستدلال بالعقل زيادة إلى النقل، فحدث بذلك علم الكلام»(٣).

❐ ويروى الإمام البخارى ت ٢٥٦هـ فى صحيحه عن السيدة عائشة ﷺ ت ٥٧ هـ قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: **﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾** إلى قوله **﴿أولي الألباب﴾**. قالت قال رسول الله ﷺ: **﴿فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم﴾**(٤).

---

(١) سورة المدثر الآيات من (١٦) إلى (٢٥).

(٢) ولى الدين ابن عبد الرحمن ابن خلدون، ولد بتونس ٧٣٢هـ - ١٣٣٢ م وتوفى بالقاهرة عام ٨٠٨هـ ١٤٠٦م وابن خلدون واضع فلسفة التاريخ أو فلسفة المجتمع له العبر فى ديوان المبتدأ والخبر، مقدمته المشهورة، انظرالموسوعة الفلسفية ص١٠-١١ ج. ل أكرم. ل. أ وآخرون ترجمة فؤاد كامل وآخرون مراجعة د/ زكى نجيب مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص٤٦٣.

(٤) ابن حجر: فتح البارى. الفتح الجزء ٨/٥٧ الحديث رقم ٤٥٤٧ كتاب التفسير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرآن يرفض التقليد ويدعو لإعمال العقل :

❐ وفى إعمال العقل يقول الإمام ابن حجر [١] فى شرحه للحديث: ﴿**ومايذكر إلا أولوا الألباب**﴾. «تعريض بالزائفين ومدح للراسخين، ثم إن الفكر الإنسانى لم يعرف خلال تاريخه كتاباً موحى به من عند الله أرسى قواعد العقيدة، وشيد قواعد العلم وأبى أن يقبع فى زوايا التقليد - غير أن القرآن الكريم والدين الإسلامى الحنيف قال تعالى:

﴿**وإذا قيل لهم تعالى إلى ماأنزل الله وإلي الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون**﴾[٢].

❐ لقد كانت حملة القرآن شديدة علي الذين لايستعملون عقولهم ومداركهم وماوهب الله لهم من طاقات وقدرات ذهنية، وإنما يعطلون عقولهم، ضاربين فى بيداء الضلالة، منقادين وراء سراب التقليد. [٣]

❐ قال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمى فهم لايعقلون**﴾[٤].

---

(١) ابن حجر قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى المصرى الشافعى ولد سنة ٧٧٣هـ تعلم عن العراقي، له فتح البارى، تهذيب التهذيب، تقريب التهذيب، الإصابة فى أسماء الصحابة، وتولى القضاء بمصر، توفى ٨٥٢هـ. انظر طبقات الحفاظ ص٥٤٧ السيوطى .

(٢) سورة المائدة الآية (١٠٤) .

(٣) التقليد: اتباع الإنسان غيره فيما يقول أويفعل معتقداً للحقيقة فيه، من غير نظر وتأمل فى الدليل، انظر الجرجانى التعريفات ص٩٠ تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الريان، د جميل صليبا المعجم الفلسفى ٣٢٧/١ دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٨٢م.

(٤) سورة البقرة الآيتان (١٧١-١٧٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عهد الرسول (ﷺ) وبدايات علم الكلام :

هذه هى صور الضلال، وبعض من صور العناد ممن ران على قلوبهم فلم يفقهون الهدى ولم تشرح صدورهم للإيمان بعد .

❐ تسجل لنا كتب الفرق أول خلاف ظهر في البيئة الإسلامية فقد ظهر في ختام عصر الرسول ﷺ مايمكن أن يسمي بذرة لعلم الكلام، وضعت فى الساحة الإسلامية، لتنمو شيئاً فشيئاً حتى تكون فيما بعد - دوحة عظيمة تتناول جميع جوانب العقيدة، وتتعمق فى بحث جزئياتها .

يروى البغدادى [١] فى كتابه «الفرق بين الفرق» ويذهب إليه أيضاً الشهرستان [٢] فى كتابه «الملل والنحل»:

❐ ماروى أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه مرة، وهم يتناظرون في القدر، ورجل يقول: ألم يقل الله كذا، ورجل يقول: ألم يقل الله كذا، فغضب رسول الله ﷺ وقال أبهذا أمرتم؟!! «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً لايكذب، نظروا ماأمرتم به فافعلوه، ومانهيتم عنه فاجتنبوه» [٣].

❐ يقول المستشرق هنرى كوربان: [٤]

---

(١) البغدادى: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩هـ وكان فقيهاً شافعياً، أحد الأئمة فى الفروع والفصول، وكان اشتغاله على أبى إسحاق الإسفراييني، وأخذ عن ناصرالمروزى وغيره البداية والنهاية ابن كثير ١٢/ ٥١٠ ط ١ دار الغد العربى القاهرة ١٩٩١م .

(٢) الشهرستانى: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانى ولد بشهر ستان، ٤٧٩ هـ وتوفى ٥٤٨ هـ، من أهم مؤلفاته الملل والنحل، ونهاية الإقدام فى علم الكلام شرح الموقف الخامس ص١٦٤ مكتبة الأزهر تحقيق د/ أحمد المهدى .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى ص١٨، الملل والنحل للشهرستانى هامش الفصل جـ١ ص٣٥.

(٤) هنرى كوربان: مستشرق فرنسى من جامعة السوربون، عمل فى بيروت، كان فى عمله يميل إلى الصوفية والصمت،من أعلام القرن العشرين، هو من أدق العارفين بالفكر===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«وأول ماتقتضى اليه... هو غياب ظاهرة الكنيسة من الإسلام يقصد الرجل عدم وجود صكوك الغفران وأمثالها، وعدم وجود الكيروس يتسلط على وسائل النعمة، فليس في الإسلام جمود عقائدى ولاسلطة جبريه ولامؤتمر يحدد العقائد، علي ماحدث للمسيحية... ثم يواصل كوربان فينقل عن ناصر خسرو.[١].. الشريعة هى المظهر الخارجى (الظاهر) للحقيقة، والحقيقة الوجه الداخلي (الباطن) للشريعة... إنها الرمز (المثال)؛ والحقيقة هى المرموز إليه (الممثول) وينقل أيضاً حديث للإمام جعفر المصادق ت ١٤٨ هـ ويقول فيه إن فى كتاب الله أموراً أربعة: العبارات، والإشارات، واللطائف، والحقائق، فالعبارات (ظاهر النص) للعوام، والإشارات للخواص، واللطائف (أى المعانى المستورة) للأولياء، والحقائق (أى العقائد الروحية) لأنبياء الله .

□ وهذه الأقوال هى صدى لقول الإمام الأول - على حد زعم الشيعة - على بن أبي طالب (٤٠هـ-٦٩١م) حيث قال: مامن آية قرآنية إلا ولها أربعة معان: ظاهر، وباطن، وحد، ومطلع فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع (المشروع الإلهى) هو مراد الله من العبد بها.[٢]

ولم تقف روايات الشيعة[٣] عند رجالهم خاصة ولكنهم نسبوا إلى أنس ابن مالك رضى الله عنه ت ٩٣هـ أنه قال في قوله تعالي:

=== الإيرانى من المستشرقين، تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد منشورات عويدات بيروت، باريس ط٣، ١٩٨٣م تعريب نصير مروة، حسن قبيسى .

(١) ناصر خسرو: شاعر فارسى من كبار شعراء الفرس، إسماعيلى المذهب، ولد في بلخ عام ١٠٠٣ م وزارة البلاد العربية دون أخبار رحلته فى كتاب مشهور «سفر نامة» زاد المسافرين فى الفلسفة توفى فى ١٠٨٨ م المنجد ص٥٦٩ الموسوعة العربية ١٨١٦/٢ .

(٢) هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، والأحاديث ينقلها عن الملا محسن الفيض فى تفسيره الشهير الضافى انظر كوربان صـ٤٠-٤٦ منشورات عويدات بيروت ١ .

(٣) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً ﷺ علي الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده، ويجب التعيين والتنصيص وهم ===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾[١]. هما على وفاطمة... وفى قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[٢]. هما الحسن والحسين ﷺ[٣]. ت ٥٨هـ.

❐ ثم تواصل الشيعة اختلافاتها حتى أنهم يختلفون فى محمد بن الحنيفة ت ٨١هـ إلى من أوصى بالخلافة - الإمامة - ثم يواصلون ويخلصون إلى أن عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال:

بتناسخ الأرواح،[٤] وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص إما أشخاص بنى آدم وإما أشخاص... حتى قال إن روح الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -تناسخت ووصلت إليه وحلت فيه.[٥]

❐ فهذه الآراء والأقوال التى قالت بها الجماعات أو الأفراد لاشك أنها كانت بين معارض ومؤيد، وعليه فهذه البيئة كانت مرتعاً خصباً لأعمال الفكر ولهبوب المدافعين عن العقيدة الصحيحة ضد هذه التيارات الفاسدة، وتفرقت الفرق سواء منها المدافعة أو المغالية أو المعتدلة، وماهذا كله إلا رافد ارتوت منه نشأة علم الكلام .

=== خمس فرق: كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية، انظر البغدادى، الفرق بين الفرق ٤٢، ٤١ الملل والنحل الشهرستانى ١/١٤٦-١٤٧ مقالات الإسلاميين الأشعرى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ١/٦٥ .

(١) سورة الرحمن آية (١٩) .

(٢) سورة الرحمن آية (٢٢) .

(٣) ابن الصباغ الفصول المهمة فى معرفة الأئمة صـ٨ .

(٤) التناسخ: عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعدالمفارقة من بدن آخر، من غير تخلل زمان بين التعليق، للتعشيق الذاتى بين الروح والجسد، وقد قال بها فيثاغورس وهى نظرية شائعة فى الهند والتبت واليابان، انظرالتعريفات ٩٣، المعجم الفلسفى ٢٢٦.

(٥) الشهرستانى الملل والنحل، ١/١٥٠ دار الجيل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ت ٢٤١ هـ فى رسالته «الرد على الجهمية[١] والزنادقة[٢]»[٣].

تحت عنوان «بيان ماجحدت به الجهمية في قول الله سبحانه: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾[٤].

□ قال أحمد رحمه الله: فقلنا لهم: لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لاينبغى لأحد أن ينظر إلى ربه لأن المنظور إليه معلوم موصوف لايرى إلا شئ يفعله. فقلنا أليس الله يقول: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[٥].

□ قالوا إن معنى إلى ربها ناظرة، أنها تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته وتلوا آية من القرآن ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾[٦].

□ فقالوا إنه حين قال ﴿ألم تر إلي ربك﴾. أنهم لم يروا ربهم... فقلنا: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، ..... ﴿ناظرة﴾. فقالوا إنما تنتظر الثواب من ربها .

---

(١) الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية، وافق المعتزلة فى الصفات الأزلية والرؤية، وخلق القرآن وأن الجنة والنار تفنيان، وأن علم الله حادث، الملل والنحل ٨٦/١-٨٨ الفرق بين الفرق ٢٢١-٢٢٢ البغدادى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد دار التراث مقالات الإسلاميين ٢١٣/١ القاهرة.

(٢) الزنادقة: القائلون بدوام الدهر وإنكار وجود الله، يطلق على كل ملحد ودهرى، المعجم الفلسفى ٣٦١ .

(٣) مخطوط مصورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة حققها د/ عبد الرحمن عميرة .

(٤) سورة القيامة الآية (٢٢) .

(٥) سورة القيامة الآيتان (٢٢ - ٢٣).

(٦) سورة الفرقان الآية (٤٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❑ فقلنا: مع ماتنتظره من الثواب هي التى ترى ربها... قالوا: إن الله لايرى في الدنيا ولا في الآخرة، وتلو... ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾(١).

وقد قال ﷺ فى معناها «إنكم سترون ربكم» .

روى عن عامر بن سعد في قول الله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾(٢). قال: النظر إلى وجه الله.(٣)

❑ فهذا نموذج حى للاختلاف فى فهم القرآن الكريم، وهو مانتج عن الظاهر والباطن والتأويل والتفسير، فهل هذا إلا ضرب من ضروب علم الكلام ونشأته، الذى نشأ وازدهر في ظل هذه الخلافات حول مفهوم النص القرآنى .

النصوص الموهمة للتشبيه - مشكلة الصفات - وماترتب عليها من التأويل:

ظهرت في الساحة الإسلامية هذه المشكلة واختلفت حولها الآراء وهب المدافعون عن الفكر السليم، ليصححوا للناس المفهوم من النص وهنا بدأت تظهر الفرق كمذاهب وجماعات ومبادئ، غير أنه قد جد فى عهد الخلفاء الثلاث مالم يكن فى عصر الرسول ﷺ، فقد اتسعت رقعة دولة الإسلام، ودخل فى الإسلام مالم يكن قد دخله فى عهد رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء من لم يفهم روح الإسلام، أو من كان على جانب من الثقافات الأخرى المختلفة، وهذا كفيل بنمو بذرة علم الكلام .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٠٣) .

(٢) سورة يونس الآية (٣٦) .

(٣) الإمام أحمدبن حنبل، كتاب الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة صـ٢٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ ومن ذلك ماروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «أتى بسارق فقال: لما سرقت؟ فقال: قضى الله على، فأمر به فقطعت يده، وضربه أسواطاً، فقيل له لما ذلك؟ فقال: القطع للسرقة والجلد لما كذب على الله»[١].

❐ هذا نموذج لما دار حوله الخلاف والرأى من مسائل في بداية ظهور علم الكلام، وقد سرت في البيئة آنذاك بعض الثقافات اليهودية[٢] والنصرانية[٣]، وكان للأخيرة حظوة من الجدل والمناقشة في خلافها حول صفات الله تعالي والأقانيم، وهنا تكون التيار المدافع عن مايسمى العقيدة الإسلامية من بلاء الاختلاط بالمعتقدات الفاسدة.

❐ يقول الإمام الجوينى:[٤]

---

(١) د/ على الغرابى، تاريخ الفرق الإسلامية صـ١٥ .

(٢) اليهودية: هى ديانة بنى إسرائيل، وكتابها التوراة الذى نزل على موسى عليه السلام ويمنعون نسخ الشريعة، ويقولون بالقدر والجبر والرجعة وهى خمسة فرق: السامرية، الصدوقية، العنانية، الربانية، العيسوية، الملل والنحل ١/٣٠٨-٢٠٩، الفصل ١/١٧٧-١٧٩ ابن حزم تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر - د/ عبد الرحمن عميرة دار الجبل بيروت ط٢ - ١٩٩٦م .

(٣) النصرانية: وهى ديانة أمة المسيح عيسى عليه السلام وهو المبعوث حقاً بعد موسى، ومدة دعوته ثلاث سنين وهم يعتقدون بتجسد الكلمة وأثبتوا لله تعالى ثلاثة أقانيم هى الأب والابن والروح القدس وكتابهم الإنجيل، وكتبه لهم يوحنا ولوقا ومرقسومتى، وأشهر فرقهم قديماً: الملكانية، اليعقوبية، التسطورية ، الملل١/ ٢٢٠ - ٢٢٨، أما حديثاً فهى:الأرثوذكس، الكاثوليك، البروتستانت، د/ أحمد شلبى، المسيحية.

(٤) الجوينى: إمام الحرمين عبد الملك بن الشيخ أبى محمد عبد الله بن يوسف أبو المعالى الجوينى، ولد فى سنة ٤١٩هـ بنيسابور، وسمع الحديث والفقه على والده، دخل بغداد، ثم رحل إلى مكة مجاوراً أربع سنين، له الشامل، البرهان، الإرشاد، العقيدة النظامية، وتوفى فى سنة ٤٧٨هـ، البداية والنهاية ١٢/٦١٤-٦١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«من أحاط بالصفات الجائزة للمخلوقات، أرشدته إلى مايجب لصانعها وبارئها من الصفات»[١].

❐ يقول الإمام محمد عبده:[٢]

«اتفق أهل الحق علي أن الواجب لذاته متصف بجميع الصفات الكمالية... منزه عن صفات النقص»[٣].

❐ ونشأ عن ذلك الجدل حول إثبات الصفات وهل الصفة غير الموصوف؟ أم أن الصفة زائدة على الموصوف؟ وهذا النقاش نجم عنه آراء وفرق وكان لكل من الأشاعرة[٤] والمعتزلة[٥] اليد الطولى أخذاً ورداً فى هذه المسألة .

---

(١) الجوينى: العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية تحقي د/ أحمد حجازى السقا ص٢٤.

(٢) محمد عبده: ولد في ١٨٤٩م فى قريةمحلةنصر مركز شبراخيت بمديرية البحيرة، وحفظ القرآن بالقرية، ثم ذهب إلى الأزهر في فبراير ١٨٦٦م، حصل على العالمية فى ١٨٧٧م -١٢٩٤هـ والتقى بالأفغانى، عين مدرساً للتاريخ بمدرسة دار العلوم فى ١٨٧٨م، وكذلك مدرساً للعربية فى مدرستى الألسن والإدارة، وقد نفى إلى بيروت وعاد إلى مصر فى ١٨٨٨م، من كتبه: رسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية، توفى فى ١٩٠٥م، موسوعة أعلام مصر ص٤٢٨.

(٣) الإمام محمد عبده بين الكلاميين والفلاسفة ٢٧٦/١ تحقيق سليمان دنيا .

(٤) الأشاعرة: أصحاب أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، كان معتزلياً ثم خرج على المعتزلة، ويشتهر بنظرية الكسب التى تقضى أن الله خالق أفعال الإنسان وللعبد قدرة علي كسبها، وأثبتوا الصفات لله، والرؤية، وصاحب الكبيرة ليس مخلداً فى النار، الملل والنحل ٩٤/١-٩٠٤، المعجم الفلسفى ٦٩-٧٠ .

(٥) المعتزلة يسمون أصحاب العدل والتوحيد، يلقبون بالقدرية، وهم عشرفرقة، رزسها واصل بن عطاء، عمرو بن عبيد، قالوا بنفى الصفات الأزلية عن الله، وخلق القرآن، وأن العبد خالق لأفعاله، وأن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المعتزلين فهم يقيمون مذهبهم على النظر العقلى، الملل والنحل ٤٣/١-٤٦، الفرق بينالفرق ١٣١-١٣٣، الموسوعة الفلسفية ٣٢٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ يقول الأيجي: [١]

«ذهب الأشاعرة ومن يتأس بهم إلى أن له تعالى صفات موجودة قديمة زائدة على ذاته تعالى فهو عالم بعلم قادر بقدرة...» [٢]

* يقول ابن حجر العسقلانى في قوله تعالى: ﴿له الأسماء الحسنى﴾ [٣]. الأسماء المذكورة فيها بلغة العرب صفات في إثبات أسمائه إثبات صفاته..» [٤].

فماذا عن السلف؟ وماموقفهم من النصوص الموهمة أو الصفات الخبرية والتأويل؟ وهم - أى السلف [٥] - الذين يؤثرون القول بالمأثور عن رسول الله ﷺ وآمنوا بالله تعالى من غير جدل فى طريقة الإيمان وفهموا الآيات القرآنية فهماً مجملاً علي حسب ظاهرها، أو تفسيرها الوارد من أقوال الرسول ﷺ والصحابة الأوائل رضوان الله عليهم .

* يقول ابن تيمية [٦] فى بيان منهجهم:

---

(١) عضد الدين عبد الرحمن أحمد عبد الغفار الإيجى كان إماماً فى المعقولات، والفقه والنحو، ولد بإيجة بفارس سنة ٧٠٨هـ الآداب العضدية، ا لعقائد العضدية، المواقف، المدخل فى علم المعانى والبيان والبديع، توفى سنة ٧٥٦هـ ، الأعلام ٣/ ٢٩٥ ط ١٠ ١٩٩٢م.

(٢) عضد الدين الإيجى، المواقف الجزء الثامن، الموقف، الإلهيات المرصد الرابع، المقصد الأول ص٧٧ شرح الدكتور/ أحمد المهدى مكتبة الأزهر سنة ١٩٧٧م .

(٣) سورة طه الآية (٨) .

(٤) ابن حجر العسقلانى فتح البارى شرح صحيح البخارى ٣٩٦/١٣ .

(٥) السلف: هم الصحابة والتابعون من أهل القرون الثلاثة الأولى وكل من تبعهم من الأئمة، انظر قواعد المنهج السلفى، د/ مصطفى حلمى ط دار الأنصار ١٩٧٦م.

(٦) ابن تيمية: أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ولد بحران سنة ٦٦١هـ، وقدم مع والده إلى دمشق، وسمع ابن عبد الدايم وابن أبى يسر، ابن أبى الخير، زينب بنت مكى، وكان ذكياً عالماً فى التفسير عارفاً بالفقه والأصول ===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ «فمن سبيلهم فى الاعتقاد: الإيمان بصفات الله وصفاته التى وصف بها نفسه فى كتابه العزيز أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ولانقص منها، ولاتجاوز لها... ولاتأويل لها بما يخالف ظاهرها: ولاتشبيه لها بصفات المخلوقين، ولاسمات المحدثين، بل أمروها كما جاءت... فسكتوا عما لم يعلموه»[١].

❐ يقول الدكتور إبراهيم مدكور[٢] عن السلف :

«هم لايؤولون ولايشبهون، بل ينزهون ويفوضون، سئل ربيعة الرأى عن قوله تعالى ﴿الرحمن علي العرش استوى﴾[٣]. كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول - أى لإخبار الحق بذلك فى الآية - والكيف غير معقول - أى فوق تصور العقل البشرى - والرسالة من الله - أى الأمر - وعلي الرسول البلاغ وعلينا التصديق»[٤].

* يقول البغدادى في الفرق بين الفرق :

=== والنحو واللغة والعلوم العقلية، له مؤلفات كثيرة منها الفتاوى الكبرى، اقتضاء الصراط المستقيم، منهاج السنة النبوية، درء تعارض العقل والنقل، وسجن بقلعة دمشق حتى توفى فيها سنة ٧٢٨هـ، انظر البداية والنهاية ١٤/ ٥٣١-٥٣٦ طبقات الحفاظ ٥١٦-٥١٧ .

(١) ابن تيمية، نقض المنطق حققه محمد عبد الرازق، صححه محمد حامد الفقى ص٢ .

(٢) ولد فى عام ١٩٠٢م فى الجيزة درس فى الأزهر، حصل على ليسانس الآداب عام ١٩٣١م، والحقوق عام ١٩٣٢م، والدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٩٣٤م عن «الفارابى» وكان أستاذاً لجيل المفكرين الحالى، وكان رئيساً لمجمع اللغة العربية، ووزيراً للتعمير عام ١٩٥٢م، حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧١م، وتوفى عام ١٩٩٥م، موسوعة أعلام مصر ص٧٢ .

(٣) سورة طه الآية (٥) .

(٤) أ. د/ إبراهيم مدكور/ فى الفسلفة الإسلامية، منهج وتطبيق، ٢/ ٣١ دار المعارف، القاهرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«... إن علم الله وإرادته وحياته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه، صفات له أزلية ونعوت له أبدية، وأجمعوا على رؤيته للمؤمنين يوم القيامة، وأجمعوا على أنه حى بلا روح ولااعتداء وأنه فرد صمد لاوالد له ولاولد»[١].

إذن فهم يثبتون الصفات لله تعالى ولكن بغير خوض فى تفسير هذه الصفات ولاكيف هى وأجروها وأمروها على ظاهرها، ولكنى وجدت من ينسب شئ من التأويل إلى السلف الصالح رضوان الله عليهم فننقل عن الشهرستانى في الملل والنحل .

«ذهب أبو حنيفة رضى الله عنه (ت ١٥٠هـ) إلى إثبات الوجه واليد والغضب والرضا صفات لله، لايؤول ... وإنما هى صفات بلا كيف، وكان هذا هو مذهب الإمام (ت ١٧٩هـ)ومقاتل بن سليمان»[٢].

* وفى إثبات للتأويل عند الجميع بما فيهم السلف يقول الإمام الرازى:

«وإذا كان ذلك موقفهم في المسائل التى ثار حولها النزاع، كاليد والوجه والاستواء - أى أمروها على ظاهرها - فإنهم كانوا لابد مؤولين- تماماً - فى مواقف أخرى من مواقفهم أمام النصوص المتعددة، وإلا فكيف كانوا يفهمون قول الله تعالى: ﴿**من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون**﴾[٣].

وقوله تعالي: ﴿**.... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوى عزيز**﴾[٤].

---

(١) ص٣٣٤: ٣٣٧ .

(٢) ص ٩٥ .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٥) .

(٤) سورة الحديد الآية (٢٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله تعالى فى الحديث القدسى (من أتانى يمشى أتيته هرولة) ؟!

❐ إذن فهم جميعاً أقروا التأويل كمبدأ وطبقوه كاملاً فى بعض النصوص وإن كان الأكثرون منهم قد توقفوا في مواطن النزاع ... يواصل الرازى كلامه - ولما ثبت الدليل أنه سبحانه وتعالى منزه عن الجهة والجسمية وجب علينا أن نضع لهذه الألفاظ فى القرآن الكريم، والأخبار محملاً صحيحاً لئلا يعتبر ذلك سبباً للطعن فيها »[١].

ولكننى لى وقفة مع قول الرازى:

❐ فقوله: فهم جميعاً أقروا التأويل كمبدأ وطبقوه كاملاً؛ قول ينقصه الاستقراء السليم فى يكن كل السلف مؤولين، بل من أول منهم فهم القلة فلا يجوز إطلاق لفظ العموم على السلف فى هذا، ومن أول منهم كان مؤولاً فيوجه الرد على دعاة التشبيه والتجسيم آنذاك .

❐ وهنا نرى أنه حيث بدء القول في آى القرآن الكريم وحيث تباينت الآراء في فهم الآيات فجاءت التفسيرات مختلفة، فقد سارع المنصفون المعتدلون للرد على المنحرفين وهذه هى أولى مسائل علم الكلام - أى إقامة الحجة والبرهان - وقد كان الجدال منصباً أولاً وأخيراً علي مدى فهم العقل للنصوص، فهذه الأقوال: بالموافقة على التأويل أو التوقف عن السير فيه ماهى إلا روافد خصبة لنمو علم الكلام، وكما ألمحت آنفاً أن ماعند الأمم السابقة على الإسلام وتخبطها فى أفكارها ووصول ذلك إلى البيئة الإسلامية كان له الأثر فى هبوب الدفاع عن الحق بالنص القرآنى .

* يقول أحمد أمين:[٢]

«ولقد ساعد على هذا التفاعل - أى ظهور علم الكلام - حركة التفسير بالرواية التى سبقت غيرها في الظهور وتمثلت في النصف الأول من الهجرة ثم

---

(١) أساس التقديس ص٩٩-١٠١ .

(٢) أحمد أمين: ولد فى ١٨٨٦م فى القاهرة وهوأديب ولغوى وقاضى وقانونى وأستاذجامعى، عميد كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٣٩م،ثم حصل على العالمية ===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرن الثانى إذ عنى قوم من التابعين بأن يجمع كل جماعة منهم تفسير مصرهم، فعنى المكيون برواية ماورد عن ابن عباس ت ٦٨ هـ كمجاهد ١٠٢ هـ وعنى الكوفيون براوية ما روى عن ابن مسعود ت ٣٢ هـ كالشعبى ت ١٠٤هـ ثم جمعت تفاسير الأمصار المختلفة: فعل ذلك السدى (ت ١٢٧هـ)، ومقاتل (ت ١٥٠هـ)وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) ووكيع بن الجراح (ت ١٩٦ هـ) وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ) [١].

* ويقول المستشرق نلينو: [٢]

«إن المسائل الكلامية في القرن الأول والثانى نشأت كلها تقريباً علي اختلافات فى تفسير عبارات وألفاظ وردت في القرآن» [٣].

* يقول الدكتور محمد يوسف موسى:

«إن القرآن هو الذى دفع المسلمين إلىَ التفلسف بمعناه الواسع، وذلك بما اشتمل عليه من أصول الفلسفة الإلهية والطبيعية [٤]، وأنه لاتناقض فى

=== ١٩١٣م، وعلى الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب عام ١٩٢٦م، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٤٠م، ومن مؤلفاته: فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، قصة الفلسفة اليونانية بالاشتراك، وتوفى عام ١٩٥٤م، موسوعة أعلام مصر فى القرن العشرين ص٨٥، وكالة أنباء الشرق الأوسط، الموسوعة العربية الميسرة١/ ٦٠ د/ محمد شفيق غبريال وآخرون دار نهضة لبنان للطبع والنشر بيروت ١٩٨٧م .

(١) ضحى الإسلام ١٩٨/٢-٢٠٠ .

(٢) كارلو ألفونسو نلينو: ولد فى ت ورينو بإيطاليا عام ١٨٧٢ وهو مستشرق نشر مخطوطات عربية منها (الزيج الصابئ) للبتانى وله (علم الفلك وتاريخه عند العرب فى القرون الوسطى) كان عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر عام ١٩٣٣ والمجمع الإيطالى ١٩٣٢ وتوفى سنة ١٩٣٨م، انظرالأعلام ٢١٣/٥-٢١٤ .

(٣) بحوث فى المعتزلة ص٢٠١ .

(٤) الفلسفة الإلهية هى معرفة وجود الله وخلود النفس، أما الفلسفة الطبيعية فهى البحث فى الإنسان من حيث هو عالم أصغر تنطوى فيه قوى العالم وعناصره انظرالمعجم الفلسفى ص٥٠٧ - ٥٠٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انصراف المسلمين فى الفترة الأولى عن هذه القضية، وذلك لوقوعهم آنذاك فى أسر استيعابهم لأسلوبه، ولاشتغالهم بنشر الدعوة، ولتنزل الوحى علي رسول الله ﷺ وهو بين ظهرانيهم يوضح لهم ماغمض .

❐ ومجئ ذلك بالقرآن يدل على تنوع خصائص أسلوبه وهو بصدد مايقرر من عقائد؛ وذلك لأنه يقدم لهذه العقائد بأدلة تستند إلى الملاحظة والتفكير، ويقدم لها بأدلة تستند إلى قياس الغائب على الشاهد [١] في المسائل التى يجوز فيها ذلك ويقدم لها بإنكار التقليد [٢].

❐ ولكننا نقول إن القرآن دين العقل بمعنى أنه يهديه إلي الحق ويستنيره إلى إخراج البراهين والنظر؛ [٣] وليس دين العقل بمعنى أنه يحتكم إليه فى شئ من أمور الدين بل هو فقط مستخدم لهذه النعمة الإلهية التى كرم بها بنى آدم .

❐ ولقد كانت دعوة القرآن الكريم إلي التفكير والإيمان الصحيح الناشئ عن يقين، وكرهه وذمه للتقليد، وبالذات فى المسائل التى تتصل بالعقيدة أعظم الأثر فى نشأة علم الكلام، ومن هذا مانجده فى إثارة الهمم للتفكير ثم الثناء علـى العلم وأهله في قوله تعالى: ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور**﴾ [٤] وفى عدم العذر فى اتباع الزائغين وذم التقليد قال

---

(١) القياس لغة تقدير شئ على مثال آخر وتسويته به اصطلاحاً: إنه عبارة عن الاستواء بين الفرع والأصل فى العلة المستنبطة من حكم الأصل، انظر الآمدى الإحكام فى أصول الأحكام ٣/ ١٧٠ .

(٢) محمد يوسف موسى، القرآن والفلسفة ص٥٣ - ٦٣ بتصرف .

(٣) النظر: هو الفكر. والفكر هو: ترتيب أمور معلومة للتأدى إلى مجهول انظر التعريفات ص٢١٧، والمعجم الفلسفى صـ٦٩٨ .

(٤) سورة فاطر الآيتان (٢٧-٢٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالي: ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾(١).

قال تعالي: ﴿وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوات يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾(٢).

قطع جمع قطعة وهى الجزء ومتجاورات متلاصقة متدانية قريب بعضها من بعض.

قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والضحاك أرض طيبة وأرض سبخة نبتت هذه وهذه إلى جنبها لاتنبت. وقال ابن قتيبة وقتادة يعنى القرى المجاورة. وقيل متجاورة في المكان مختلفة في الصفة صلبة إلى رخوة وسحر إلى مرد أو مخصبة إلى مجدبة وصالح للزرع لاللشجر وعكسها مع انتظام جميعها فى الأرضية وفى الكلام حذف معطوف أى وغير متجاورات، والمتجاورات والمدن وماكان عامراً، وغير المتجاورات الصحارى وماكان غير عامر، واختلاف بقاع الأرض في الارتفاع والانخفاض والطباع والخاصية أمر معلوم، وقال النبى ﷺ حين سئل عن هذه الآية فقال: الدقل والقارس والحلو والحامض، والجنة البستان الذى يحصل فيه النخل والكرم والزرع وتحفة تلك الأشجار، والصنوان جمع صنو مثل قنون وقنوان لايوجد لهما ثالث، وهو أن يكون الأصل واحداً، وقيل الصنو المثل، فإذا قلنا بالتفسير الأول فيكون المعنى أن النخيل منها ماينبت من أصل واحد شجرتان وأكثر ومنها مالايكون كذلك، وعلي التفسير الثانى يكون المعنى أن أشجار النخيل تكون متماثلة متشابهة وقد لاتكون كذلك على وجه الأرض، وخص التفضيل في الأكل وإن كانت متفاضلة فى غيره لأنه

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٧٣).

(٢) سورة الرعد الآية (٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غالب وجوه الانتفاع من الثمرات، حكى عن الزجاج أن الأكل الثمر الذى يؤكل وحكى عن غيره أن الأكل المهيأ للأكل، وهذا أولى لقوله تعالى فى صفة الجنة ﴿أكلها دائم﴾، وقد نبه الله تعالى فى هذه الآية على قدرته وحكمته وأنه المدبر للأشياء كلها وهذه الآية دليل على مدبر دبر هذا الخلق وأحكمه لايشبه المخلوقات والمقصود من هذه الآية إقامة الدلالة علي أنه لايجوز أن يكون حدوث الحوادث فى هذا العالم لأجل الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية وإنما بتدبير الفاعل المختار .

وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بنى آدم كانت الأرض طينة واحدة فسطحها فصارت قطعاً متجاورات فنزل عليها ماء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمرة وتخرج هذه سبخة وملحاً وخبثاً وكذلك الناس خلقوا من آدم فنزلت عليهم من السماء مذكرة فربت قلوب وخشعت قلوب وقست قلوب ولهت قلوب .

﴿إن فى ذلك﴾ أى فى اختلاف الألوان والروائح والطعوم ﴿لآيات﴾ لحججاً ودلالات ﴿لقوم يعقلون﴾ يعلمون الأدلة فيستدلون بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال في هذه الآية بأشياء فى غاية الوضوح من مشاهد تجاور القطع والجنات وسقيها وتفضيلها جاء ختمها بقوله لعلهم يعقلون.(١)

* ولذا نجد ابن عساكر(٢) يقول فى ذلك :-

---

(١) انظر: أبى حيان تفسير البحر المحيط ٥/٣٦٢-٣٦٤ ط ٢ ١٩٩٢ دار الكتاب الإسلامى القاهرة، وأيضاً الفخر الرازى التفسيرالكبير ١٩/٦-٨ ط١ ١٩٩٠ م دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) ابن عساكر: أبو القاسم هبة الله على بن الحسن ولد فى ٤٩٩هـ مؤرخ وحافظ ورحالة ولد بدمشق أهم مؤلفاته تاريخ دمشق ورحل إلى بغداد والكوفة توفى سنة ٥٧١هـ - انظر الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٢، طبقات الحفاظ السيوطى ٤٧٤، وابن كثير البداية والنهاية ١٢/ ٨٢٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«والعجب ممن يقول ليس فى القرآن علم الكلام، والآيات التى هى في الأحكام الشرعية نجدها محصورة، والآيات المنبهة علي علم الأصول نجدها توفي وتربى بكثير»[١].

ونأتى الآن إلى القسم الثانى من البحث وهو : -

الفهم بالقرآن :

تكلم القرآن الكريم في نصوصه عن أخص مسائل علم الكلام وأهم المشكلات التى طرأت علي الأمة الإسلامية بعد ذلك، وتحدث عن الإلهيات، والنبوات، والسمعيات وعن الجدل مع أهل الأديان الأخرى وهنا سنحاول سرد الموضوع بطريقة واضحة تميل إلى علم الكلام، معتمداً على الآيات التى اتخذ منها علماء الكلام دليلاً نقلياً يدعم قضاياهم العقلية .

أولاً القرآن والألوهية :

جاء القرآن الكريم وأسمى أهدافه إيقاظ الفطرة[٢] البشرية التى فطرها الله علي معرفة وعبادة الله الواحد، لتستمر الفطرة في صفائها ولاتحيد عن الحق، جاء القرآن الكريم يربى الإنسان خليفة الله في الأرض حيث قال تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالاتعلمون﴾**[٣].

---

(١) ابن عساكر تبين كذب المفترى صـ٣٥٩ .

(٢) الفطرة: هى الجبلة المتهيأة لقبول الدين وهى تعنى الدين الحنيف وضدها البدعة انظر الجرجانى التعريفات ٢١٥ والمعجم الفلسفى ٤٩٩.

(٣) سورة البقرة الآية (٣٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ جاء القرآن للإنسان ليربيه قلباً وروحاً وجسداً وعقلاً وخلقاً، ويرتفع به إلي الأفق الأعلى، أفق الإنسانية، حتى يصيره فى النهاية صورة حية من تصورات القرآن الكريم للإنسان الكامل .

❐ ومن هنا كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في نزول القرآن الكريم منجماً[١] علي رسول البشرية محمد- ﷺ- قال تعالي: ﴿**وقرآناً فرقناه لتقرأه علي الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً**﴾[٢].

❐ إذن فقد نزل منجماً ليتدبر علي عمق، ويكون للبشرية منهجاً ودستوراً[٣]، وقائداً ودليلاً في كل مايعن لها من حوار ومسائل فى العقيدة وخلافه، فهو دستور للحياة وقائد لها يوجهها إذا بعدت، ويبصرها إذا أخطأت قال تعالى: ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً**﴾[٤].

❐ وكل من يتناول القرآن الكريم بالتلاوة والتدبر، يرى أنه كتاب عقيدة وتشريع، ودعوة من الله سبحانه وتعالى للإنسان لدراسة الكون والحياة قال تعالي: ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد**﴾[٥].

---

(١) منجماً: أى مفرقاً بحسب الوقائع والحوادث ومايحتاج إليه من الأحكام انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٣/٣١٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية (١٠٦).

(٣) المنهج: هو الطريق الواضح انظر الفيروزآبادى القاموس ١/٢٠٩، أما الدستور: فهو مجموعة من القواعد الأساسية التى تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها ومدى سلطتها إزاء الأفراد انظر المعجم الوجيز ٢٢٧ والقاموس المحيط ٢/٢٨.

(٤) سورة الإسراء الآية (٩) .

(٥) سورة فصلت الآية ٥٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ لكى يعرف ويتعلم، ويفهم ويتدبر؛ ومن ثم يتجه الاتجاه الصحيح فى العبادة والدين مبتعداً عن كل ضلال، ذاهباً إلى الله وحده لاشريك له، قال تعالي: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾(١).

□ فهذه الآيات قدمت مبدأ ومنهجاً يجوز أن يقال عام وشامل ولنرى بعض الآيات التى عدها العلماء من الآيات الخاصة أو المحكمة فى بعض مسائل الألوهية.

□ يقول ابن قيم الجوزية فى قول الحق سبحانه وتعالي: ﴿**الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولاشفيع أفلا تتذكرون**﴾(٢).

إنما تتضمن إبطال قول الملاحدة(٣) القائلين: بقدم العالم(٤).

□ وهم الماديون قديماً - الدهريين والطبيعيين(٥)- وحديثاً المذاهب المادية من ماركسية(٦) وخلافه، فالآية الكريمة أثبتت أن الكون مخلوق وأن له خالقاً

---

(١) سورة النحل الآية ٣٦ .

(٢) سورة السجدة الآية ٤ .

(٣) الملاحدة: من ينكرون وجود الله، ويفسرون العالم دون حاجة إلى افتراض خالق له، المعجم الفلسفى ص٨٩ .

(٤) ابن قيم الجوزية اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٨ .

(٥) الدهريون والطبيعيون: هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم موجود بنفسه بلا صانع، الغزالى: المنقذ من الضلال تحقيق د/ عبد الحليم محمود ٣٤٢ - ٣٤٦ ط ٣ ١٩٨٨م دار المعارف القاهرة.

(٦) الماركسية: هى تنسب إلى ماركس وانجلز ولينين تقول المادة وأن الدين مخترع، مستندة إلى المادية الجدلية أو الديالكتيكية، انظر د/ عبد المعطى، بيومى، الماركسية فى مواجهة الدين ص١٩: ٢٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هـــو الله عـز وجل وهذا يدل على أن العـالم حـادث حـيث أن له مـحـدث وله بداية.

❐ ويستشهد الأشعرى[١] على حدوث مادون الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى موجود وخالق لكل شئ بعناية وإحكام وهو المهيمن والمسيطر على نواميس الحياة والخلق قال تعالى: ﴿أفرأيتم ماتمنون*أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾[٢].

وقال تعالى فى موضع آخر: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[٣].

❐ وهذه ميـزة فـريدة من مميـزات القـرآن الكريم فلقـد قلت أن العـقـلاء جميعاً خاصتهم وعامتهم - تاركوا هوى النفس ومتبعوا الطريق الصحيح - لايجادلون فى وجود الله فهو أمر مفطورة الخليقة عليه، ولكن كان هناك فى كل زمان من اتخذ إلهه هواه وضل به عن السبيل، فأخذ القرآن الكريم ينصب بعض الآيات دليلاً واضحاً علي وجود الله تعالي ووحدانيته يرد علي من اتبع هواه، وفى ذلك ازدهار لمسـائل علم الكلام والجـدل. فـجـاءت الآيات بالأدلة المتنوعـة منهـا: الاسـتـدلال بوجـود الأثر على وجـود المؤثر، وبدليل الممكن والواجب،[٤] وبدليل الكمال، أو دليل العناية، أو الغائية.[٥]

---

(١) الأشعرى: أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجى، وكان معتزلياً فتاب منه بالبصرة، ولد سنة ٢٧٠هـ، وتوفى سنة ٣٢٤هـ، البداية ١١/٢٤١ .

(٢) سورة الواقعة الآيتان ٥٨-٥٩ .

(٣) سورة المؤمنون الآيات ١٢، ١٣، ١٤.

(٤) الواجب: هو الموجود الذى يمتنع عدمه امتناعاً ليس الوجود له من غيره بل من نفس ذاته، التعريفات ٣٢٢، أما الممكن فهو مايقتضى لذاته الوجود والعدم فلا ضرورة فيه، التعريفات ٢٩٦، المعجم الفلسفى ٦٦٧ .

(٥) العناية: هى كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير، المعجم الفلسفى ٤٧٤، أما الغائية معناها النهاية أو الاكتمال، أن كل شئ يتحرك نحو غاية تتم بتمام صورته التى هى الوجود بالفعل، المعجمالفلسفي ٤٨١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك بعض الآيات، وهى كثيرة التى جاءت مفصلة لبيان مايتصف به الله تعالى من صفات ومايحق له من أسماء ودلالات .

(أ) الوحدانية :

جاءت الآيات فى صفة الوحدانية كثيرة متنوعة، حيث غطت جميع جوانب الوحدانية فنجد آية النساء قد وفت نفى وجود أكثر من إله وأكدت على الوحدانية بإقامة الدليل على بنى إسرائيل وأثبتناها أيضاً عن طريق أن الله ملك السموات والأرض فهو المالك والمهيمن قال تعالي:

﴿ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾(١).

* يقول ابن القيم:(٢)

إن سورة الإخلاص جاءت بما يسمى التوحيد العلمى الخبرى الاعتقادى **﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾**(٣).

أى أن الخالق سبحانه وتعالى أخبر عما يجب الاعتقاد به تجاه جلاله وقدسيته سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة النساء الآية ١٧١ .

(٢) شمس الدين محمدبن أبي بكر بن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ، وسمعالحديث واشتغل بالعلم، ولازم ابن تيمية حتى وفاته، له من التصانيف الكبار والصغار شئ كبير، متوفى سنة ٧٥١هـ، البداية ١٤/٦٧٣-٦٧٤ .

(٣) سورة الإخلاص كاملة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ أما قوله تعالى: ﴿**قل ياأيها الكافرون*لاأعبد ماتعبدون* ولاأنتم عابدون ماأعبد*ولاأنا عابد ماعبدتم* ولاأنتم عابدون ماأعبد*لكم دينكم ولى دين**﴾(١).

يقول ابن القيم أنها جاءت بالتوحيد العملى أى مايجب أن يكون عليه الفرد (٢).

❐ ويواصل القرآن الكريم سياقه فى كمال الوحدانية من جميع جوانبها فيقول تبارك وتعالى: ﴿**ياأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لاإله إلا هو فأنى تؤفكون**﴾(٣).

❐ فهذه الآية الكريمة ذكرت فى جلاء ووضوح أنه لاخالق إلا الله ولارازق إلا هو سبحانه وتعالى .

ثم يسوق القرآن الكريم الدليل على بطلان ماعند الأمم السابقة من معتقدات منحرفة فى حق الألوهية لتكون بيئة اتباعه نقية صافية قال تعالي: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم**﴾(٤).

❐ ففي هذه الآية الكريمة يبين بطلان المقدمة وهى القول بأن الله ثالث ثلاثة- تعالي الله عما يقولون - ويرد عليها بالقطع بأن الإله واحد لاشريك له، ثم يذكر الجزاء المترتب على قولهم هذا فيتوعدهم إن استمروا على عنادهم واتباعهم غير طريق الفطرة أن لهم عذاب أليم .

---

(١) سورة الكافرون كاملة .

(٢) ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ص٢٧ .

(٣) سورة فاطر الآية ٣ .

(٤) سورة المائدة الآية ٧٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولننظر إلى هذه الآية هل أنها عرضت الباطل ثم أبطلته بذكر الحق الآخر من ضروب علم الكلام، بل هو أشرف مقاصد علم الكلام الذى نشأ أساساً من أجل نفس الغرض وهو الدفاع عن العقيدة الصحيحة .

* يقول الإمام الشعرى:

«كلام المتكلمين في الحجاج فى توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات، وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرآن»(١).

❐ وفى علاج قضية عبادة الأصنام(٢) وإبطال هذه العبادة جاء السياق على لسان سيدنا إبراهيم حيث قال تعالي: **﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة، إنى أراك وقومك في ضلال مبين﴾**(٣).

❐ ويسخر القرآن الكريم من الذين يهملون عقولهم ويستعمل فى سبيل إقناعهم طريقة من طرق علم الكلام الأساسية ألا وهى طريقة الحوار، يواصل القرآن الحوار فيقول على ألسنتهم - أى الضالين: **﴿قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين* قال هل يسمعونكم إذ تدعون*أو ينفعونكم أو يضرون*قالوا بل وجدنا آبائنا كذلك يفعلون*قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون*أنتم وآباؤكم الأقدمون*فإنهم عدو لى إلا رب العالمين﴾**(٤).

❐ وتستمر طريقة الحوار بين إبراهيم وقومه وكأنهم يتساءلون.. ومن رب العالمين الذى تدعونا إليه..؟ ويأتى جواب إبراهيم رداً على تساؤلاتهم وإيقاظاً

---

(١) أبو الحسن الأشعاى، رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام ص٨٩، ط الكاثوليكية بيروت ١٩٥٢م.

(٢) الأصنام: جمع صنم وهو تمثال من حجر أو خشب أو معدن. الوثن: هى كل مايعبد من دون الله، المعجم الوجيز ٣٧٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ٧٤ .

(٤) سورة الشعراء الآيات ٧١-٧٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للعقل الإنسانى للتعرف على ربه ولكنها بطريقة تميل إلى المحسوس والتعرف على الله تعالى بآثاره وأفعاله فى الكون وفى الأنفس قال تعالى:

﴿الذى خلقنى فهو يهدين* والذى هو يطعمنى ويسقين*وإذا مرضت فهو يشفين*والذى يميتنى ثم يحين*والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾(١).

يواصل القرآن الكريم الحديث بالأدلة المحسوسة وبطلان مايفعل الضالون المضلون قال تعالى: **﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولاللقمر واسجودا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾**(٢).

❐ ويأتى القرآن بالرد على كل من سولت له نفسه ادعاء الألوهية، أو عبادة غير الله - تعالي عما يشركون - فيأتى بدليل محسوس من الأمم السابقة .

قال تعالي: **﴿وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين﴾**(٣).

❐ استمرء هذا الرجل الطاغية حتى قال ذلك ثم يعالجه الله تعالى بالآيات وبالعذاب وبالهلاك حتى يكون عبرة لمن بعده وآية لمن خلفه، وحتى ينطق هو بالحجة الخالصة قال تعالي:

﴿وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال امنت أنه لاإله إلا الذى آمنت به

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٧٨-٨٢ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣٧ .

(٣) سورة القصص الآية ٦٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين* ءالآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾(١).

❐ لهذا كانت كلمة التوحيد - أفضل ماقاله الأنبياء والمرسلون - تتضمن نفياً وإثباتاً - وهى مقامات التوحيد ومسائله - إنها تنفى كل الزيف المتراكم فى عقول البشر، وترفض كل هذه الانحرافات، وتثبت الألوهية للخالق سبحانه وتعالى وهكذا فعل علماء التوحيد .

❐ وفى القرآن الكريم آيات كثيرة قد فصلت للصفات كل صفة على حدة فهذا هو الأشعرى يرى فى مثل قوله تعالى: **﴿فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغيرالحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾**(٢).

❐ والآيات التى تتكلم عن الصفات والأسماء في القرآن الكريم أكثر من أن تحصى ففى الصفة الواحدة قد تأتى آيات كثيرة فى إثباتها، فقد جاء لفظ عليم وقدير مثلاً كثيراً فى القرآن الكريم، ولنذكر هنا نماذج محددة من بعض الآيات حتى لايكون إطناباً .

❐ ففى السمع والعلم معاً قال تعالي: **﴿فإن آمنوا بمثل ماأمنتم به فقد اهتدوا* وإن تولوا فإنما هم فى شقاق* فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾**(٣).

❐ ففى صفة القدرة يقول سبحانه وتعالى: **﴿ولكل وجهة هو موليها*فاستبقوا الخيرات*أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً*إن الله على كل شئ قدير﴾**(٤).

---

(١) سورة يونس الآيتان ٩٠، ٩١.

(٢) سورة فصلت الآية (١٥) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٣٧) .

(٤) سورة البقرة الآية (١٤٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ وإن الله تعالى هو الرازق وحده سبحانه وتعالى قال تعالي: ﴿**زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا*والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾(١).

❐ وفى المغفرة والرحمة ووجوبهما لله تعالى قال تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذيه هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**﴾(٢).

❐ وهى كما قلنا كثيرة الآيات التي تكلمت عن الأسماء والصفات فى القرآن الكريم وهذا كان مرتعاً خصباً لأن يحاجج أهل العقول بعضهم بعضاً فى الانتصار لآرائهم بما فهموا ويدمغون ذلك بالأدلة القرآنية، فمثلاً يقول النشار(٣) فى القديرية :

«ألاحظ أن هذه المباحث القدرية الأولى إنما نشأت عن اجتهاد فى النص القرآنى»(٤).

* ويقول الشيخ دراز:(٥)

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٢) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٨) .

(٣) د/ على سامى النشار: ولد فى عام ١٩١٧ حاصل على ليانس الآداب عام ١٩٣٩، الماچستير عام ١٩٤٢، فى الفلسفة الإسلامية والدكتوراه عام ١٩٥١ من جامعة كمبردج، عين بجامعة الإسكندرية عام ١٩٤٣، ومستشار لمجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٣م، من مؤلفاته: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، توفى سنة ١٩٧٧م، موسوعة أعلام مصر ص٣٤١ .

(٤) أ. د/ على سامى النشار. نشأة الفكر الفلسفى الجزء الأول ص٣١٢ دار المعارف المصرية .

(٥) د/ محمد عبد الله دراز: تخرج فى الأزهر الشريف، وأرسل فى بعثة إلى فرنسا والتحق بجامعة السوربون ١٩٣٦، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٤٧ عن موضوع الفلسفة الأخلاقية فى القرآن، له النبأ العظيم، من كنوز السنة توفى سنة ١٩٥٧م، شخصيات إسلامية د/ سعد ظلام - جريدة الجمهورية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«فمن قرأ كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وجد فيهما أطرافاً يميل إليها المتطرفون وأوساطاً يأخذ بها المقتصدون»[١].

* يقول ابن قتيبة:[٢]

«وجد في عصر مبكر من يقول: إن القرآن يدل علي الاختلاف، وأن كل رأى من الآراء المتعارضة على صواب لأن له أصل في الكتب وأن أهل القدر مصيبون وأهل الجبر مصيبون لأن القرآن دل على كل هذه المعانى»[٣].

□ والملاحظ أن هذه الاختلافات فى الاستدلال لم يكن منشئوها آيات القرآن الكريم، بل هى تعزى إلى قصور فى فهم المستدل لمنهجه، هذه الآراء المتباينة فى فهم المسائل كانت تتناول الآيات تناولاً حادثاً غير مسبوق، حتى أننا نرى فيما بعد أن أتباع الفرق تنازلوا عن بعض الأدلة لأنهم بدأوا يخرجون بعد التمحيص بنظرة جديدة أكثر وضوحاً واهتداء.

وعلى كل حال فقد ساعد هذا المناخ من الاختلافات المذهبية والاستدلال عليها بالقرآن وآياته فى خلق جو من البيئة الخصبة لنشوء علم الكلام وأسسه.

ثانياً: النبوة :

كان المصدر الرئيسى للعلم هو الوحى تنزل الآيات على رسول الله - ﷺ - فيقوم بتبليغها للناس، مبيناً لهم المراد منها وموضحاً لعامها وخاصها، مطلقها ومقيدها .

---

(١) د/ محمد عبد الله دراز. المختار فى تسييرالوصول إلى أحاديث الرسول ص الطباعة الحديثة سنة ١٩٣٦م ص٧٠ .

(٢) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة ولد ببغداد سنة ٢١٣ هـ، ٨٢٨ وسكن الكوفة أديب ومؤرخ عربى، له «الشعر والشعراء» «مشكل القرآن» «من تفسير غريب القرآن» «تأويل مختلف الحديث» توفى ٢٧٦هـ - ٨٨٩م. الأعلام ١٣٧/٤، ط١٠، ١٩٩٢ .

(٣) ابن قتيبة. تأويل مختلف الحديث. تصحيح محمد أزهرى النجار ص٤٤ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة بدون تاريخ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن دارت حول هذا الوحى مناقشات ومسائل جاز للبعض أن يطلق عليها «مشكلة الوحى».

* وفى ذلك يقول الدكتور إبراهيم مدكور .

«إن مشكلة الوحى فى العالم العربى أثيرت منذ بدأ النبى - ﷺ- دعوته، فلقد قابلوه عند جهره بها بقولتهم التهكمية «هذا بن أبي كبشة يكلم من السماء»[١].

❐ ولكن الحق سبحانه وتعالى يدحض قولهم ويرده إلى نحورهم، فيبين أن الرسالة منحة وهبة من الله تعالى فى صورة القياس والاستدلال .

قال تعالى: **﴿قد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾**[٢].

ويقول الحق سبحانه وتعالى واصفاً الغاية من إرساله للبشرية: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[٣].

❐ ويواصل الحق بيان أن الرسالة منحة وبالذات إذا كانت لهؤلاء القوم الأميين، قال تعالى: **﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾**[٤].

❐ ويواصل القرآن الكريم الحجج؛ العقلية فى إثبات أن القرآن من عند الله تعالى. قال تعالي: **﴿وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾**[٥].

---

(١) د/ إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ص٩٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية (١٦٤) .

(٣) سورة الأنبياء الآية (١٠٧) .

(٤) سورة الجمعة الآية (٢) .

(٥) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ ويواصل الحق الدفاع وإثبات أن القرآن من عند الله تعالي: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدرى ماالكتاب ولاالإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلي صراط مستقيم﴾**.(١)

❐ ولقد مكر الكفار بالنبى ولكن الله تعالى دافع عنه وأخبره بذلك فى قوله تعالى: **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين*وإذا تتلي عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾**(٢) فمكروا له بالقتل ثم قالوا بحجتهم الباطلة أنه أساطير الأولين، فأخبر الحق عن ذلك ثم جاء بالدفاع في تقرير كامل وإقناع عقلى **﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل *لأخذنا منه باليمين﴾**(٣).

❐ ثم فى استعمال الدليل والحجة والتقريع والاستقراء في الدفاع في أن القرآن من عند الله تعالى، قال تعالى **﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾**(٤).

❐ ويحكى القرآن الكريم أنهم طالبوا أن ينزل القرآن جملة واحدة فى صورة التمنى التهكمى ولكن الحق سبحانه يرد عليهم فى نفس السياق **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلا﴾**(٥).

---

(١) سورة الشورى الآية (٩٥٢).

(٢) سورة الأنفال الآية (٣٠).

(٣) سورة الحاقة الآيتان (٤٤-٤٥).

(٤) سورة النحل الآية (١٠٣).

(٥) سورة الفرقان الآية (٣٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ وقال الله تعالى فى الدفاع أيضاً أن الرسول ﷺ لم يكن قارئاً ولاكاتباً للكتب قبل القرآن الكريم: ﴿**وماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**﴾(١).

❐ هكذا كان الخلاف حول القرآن وتلقيه من قبل الله تعالى وكان القرآن يرد على كل مشكلة فى صورة جدلية منطقية تنشط العقل وتساعد على تنشيط بيئة علم الكلام ونشأته .

ثم جاء بعد ذلك الجدال حول شخصية الرسول ﷺ وبشرية النبى ﷺ وكيف يوحى إليه وهو فى صورته البشرية .

❐ قال تعالى: ﴿**وقالوا لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنابعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون**﴾(٢).

❐ ثم حكى القرآن الكريم الاعتراضات صريحة علي بشرية الرسول ﷺ قال تعالى حاكياً: ﴿**أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون**﴾(٣).

❐ ويرتقى الموقف الجدلى الحوارى بين المنكرين - الذين كفروا - وبين جواب الحق سبحانه وتعالى: ﴿**وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً. أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً**﴾(٤).

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٨) .

(٢) سورة الزخرف الآيتان (٣١، ٣٢) .

(٣) سورة الأعراف (٦٣) .

(٤) سورة الفرقان الآيتان (٧، ٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويواصلون حوارهم ويتمادون فى إنكار الرسالة لكونه بشراً .

﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لاينظرون* ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مايلبسون﴾(١).

□ ويجيئ الرد القاطع بإقامة الحجة عليهم: ﴿قل ماكنت بدعاً من الرسل ومأدرى مايفع بى ولابكم إن أتبع إلا مايوحى إلى ومأنزل إلا نذير مبين*قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾(٢).

□ وماهذه الآيات التى ذكرت الآن إلا مثال من الحوار الجدلى الذى انتهجه القرآن الكريم فى صدر الدعوة، ليثبت به صحة النبوة لسيدنا رسول الله ﷺ وهو حوار بين معاند منكر وبين مثبت عالم بهذا، فبهذا فتح القرآن الكريم طريق الحوار، وبين مناهج الاستقراء والقياس والحجة وهى ضروب أولى لعلم الكلام .

□ وكان القرآن كثيراً مايعتمد على مسلمات الخصم فيقيم عليه الحجة بها، ونجد ذلك فى الحوار علي لسان بنى إسرائيل .

﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين* قولوا آمنا بالله ومأنزل إلينا ومأنزل إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ومأوتى موسى وعيسى ومأوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون*فإن آمنوا بمثل ماآمنتم به فقد اهتدوا

---

(١) سورة الأنعام الآيتان (٨، ٩).

(٢) سورة الأحقاف الآيتان (٩، ١٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.(١)

❐ وهكذا قطع القرآن الكريم بدليل المسلمات الطريق علي الخصم وأنه إذا اتجه إلى بنى إسرائيل أيضاً أو كان منهم وجب عليه التصديق بالقرآن وبمن جاءت إليه الرسالة ونزل عليه القرآن، ثم عاتبهم الحق بقوله تعالى: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولايكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيراً منهم فاسقون﴾**(٢).

ثالثاً: البعث :

مامن قضية ثار حولها الجدل فى بداية الدعوة الإسلامية كما ثار حول قضية البعث، لذلك فقد عالج القرآن الكريم القضية علاجاً موضوعياً ورد علي الخصوم وألزمهم الحجة، وكانت أفضل طريقة سلكها القرآن الكريم هى طريقة : قياس الغائب علي الشاهد أو طريقة المحسوس، وهذا يرجع لمعرفة الحق سبحانه بالقرشيين والعرب وعبادتهم للمحسوس فكانت الحجة تأتى من جنس مايفهمون ولنذكر بعضاً من كل الآيات التى صورت هذا الأمر .

قال تعالي: **﴿وإن تعجب فعجب قولهم أءذا كنا تراباً أءنا لفي خلق جديد، أولئك الذين كفروا بربهم، وأولئك الأغلال فى أعناقهم، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**(٣).

❐ ثم يبدأون فى التهكم والأسئلة التهكمية، قال تعالى: **﴿ ويقولون متى هذاالوعد إن كنتم صادقين﴾**(٤).

---

(١) سورة البقرة الآيات (١٣٥، ١٣٦، ١٣٧) .

(٢) سورة الحديد الآية (١٦).

(٣) سورة الرعد آية (٥) .

(٤) [illegible]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ ثم يأتي الدليل على المتهكم المكذب للبعث بعد أن فرك العظم القديم في يده، فيلجمه القرآن الحجة بالمحسوس أيضاً، قال تعالي: ﴿**وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه، قال من يحيى العظام وهى رميم. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾(١).

❐ فهذه حجة على الخصم بالبدء أول مرة ثم بنشوء الأضداد وهى النار من الشجر الأخضر، وهذه كانت معروفة لدى العرب. ثم فى موضع آخر يزاوج القرآن بين دليلين حسيين أحدهما مستتر والآخر جلى واضح .

❐ قال تعالى: ﴿**ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر في الأرحام مانشاء إلي أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾(٢).

❐ فقد حوت الآيات الأدلة العقلية البرهانية، وبضمها بعضها إلى بعض، نجد آنها زاوجت بين الدليل العقلى وبين الدليل الحسى، وقد وجد العلماء بغيتهم من الأدلة العقلية على إثبات البعث بعد فهمهم للآيات، وكان هذا الفهم بنصوص القرآن هو نوع من القياس والاستقراء وبزوغ نبت علم الكلام لكى يترعرع وينمو، للحجاج عن الحق والدفاع عن العقيدة، قد استعرض القرآن آراء المنكرين للبعث، ودلل على إمكانه من أبسط السبل،

---

(١) سورة يس الآيات (٧٨، ٧٩، ٨٠) .

(٢) سورة الحج الآية (٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالذى أنشأ قادر علي الإعادة، حتى يكون الحساب. قال تعالى: ﴿**إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزئ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون**﴾(١).

النظر فى الأنفس والآفاق:

❐ ومن الملاحظ كما ذكرت آنفاً أن القرآن دعا إلى الإيمان بوجود الله عن طريق استخدام العقل، وإطلاقه من مواريثه القديمة، كما دعا مراراً وتكراراً إلى النظر فى ملك الله، ليرى الناس صنعته الباهرة الدالة على وجوده .

❐ قال تعالى: ﴿**إن فى خلق السموات والأرض والجبال واختلاف الليل والنهار والفلك التى ترى فى البحر بما ينفع الناس ومأأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**﴾(٢). فهذه الآية - وأمثالها كثير - هى نموذج من أدلة القرآن البرهانية التى فاضت بها آياته الكريمة، والقرآن إذ يستعمل طريقة البرهان العقلى ليستدل به على المطلوب الذى جعل دليلاً عليه، كأنما يعلم الأمة الإسلامية كيف تستدل على المطلوب من أقصر طريق، وهذا النوع من الأدلة العقلية يستدل به على الموافق والمخالف إذ هو معلوم عند العقلاء بالضرورة، وهذا هو مطلب علم الكلام وبغيته إلزام الخصم من أقصر الطرق وأسهلها .

❐ ينتقل الحق سبحانه وتعالى إلى شحذ الأذهان وصقل العقول عن طريق الخلق والعناية والإحكام، فيبدأ أولاً بإثارة النظر، يقول الحق: ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾(٣).

---

(١) سورة يونس الآية (٤) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٦٤) .

(٣) سورة فصلت (٥٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ ثم بعد إثارة النظر يطالب بإعمال النظر والفكر فى حقائق وسنن الكون حيث قال تعالى: ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم، كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركاً، فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج**﴾(١).

□ طلبت الآية النظر فى ملكوت السموات والأرض، وأن كل النبات منه الذكر والأنثى، ثم تكلمت عن إقامة الحجة بالدليل الحسى من النخل وأن لها طلعاً مختلفاً وطلبت الاعتبار بالماء وهو فى متناول الجميع. وكان كلما زاد عناد الخصم وإنكاره وتماديه في العناد، جاء القرآن الكريم بأدلة تمتاز بالوضوح الحسى أكثر من السابقة فأخذ يقيس العناية فى الآفاق على الحس فى الحياة قال تعالى ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون. وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله مايركبون**﴾(٢).

□ وهكذا تبهرك الصورة الفذة الفريدة، التى تلمسها من منابع العلم اليقينية، الحجج القاطعة البرهان، وأى منبع يكون أهلاً لذلك؟ غير القرآن الكريم، الذى دعا إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وفي الأنفس

---

(١) سورة ق الآيات (٦-١١).

(٢) سورة يس الآيات (٣٧، ٣٨، ٣٩-٤٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والآفاق لينظر الإنسان على اختلاف اتجاهه إلي الحقيقة، وليرجع المعاند المنكر إلى الصواب والحق، ويزداد العارف المقر يقيناً على يقينه، وحقاً فقد صدق من قال: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾[1].

تم البحث ولله الحمد والمنة ،،

دكتـــور

أحمد رفاعى عبد اللاه محمد الوقدى

---

(١) سورة الإسراء الآية(٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجع والمصادر

١) القرآن الكريم.

٢) د/ إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ج٢ دار المعارف القاهرة .

٣) ابن تيمية : نقض المنطق - حققه محمد عبد الرازق - صححه محمد حامد الفقى .

٤) ابن الجوزى : صفة الصفوة الطبعة الأولي ١٩٩٤ م دار ابن خلدون القاهرة.

٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب الطبعة الأولي ١٩٩٤ دار الكتب العلمية بيروت .

٦) ..... : الإصابة في أسماء الصحابة المطبعة التجارية ١٣٥٨هـ.

٧) ..... : فتح البارى ج٨ المكتبة الفلسفية - القاهرة .

٨) ..... : هدى السارى مقدمة فتح البارى المكتبة السلفية القاهرة.

٩) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر، د/ عبد الرحمن عميرة الطبعة الثانية ١٩٩٦م دار الجيل بيروت .

١٠) ابن خلدون: المقدمة، دار ابن خلدون- القاهرة .

١١) ابن خلكان: وفيات الأعيان تحقيق د/ إحسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٩٢م .

١٢) ابن الصباغ: الفصول المهمة فى معرفة الأئمة .

١٣) ابن عساكر: تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعرى .

١٤) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث - تصحيح محمد أزهرى النجار، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

١٥) ابن القيم : اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .

١٦) ابن كثير : البداية والنهاية الطبعة الأولى ١٩٩١م دار الغد العربى القاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٧) .....: تفسير القرآن العظيم دار التراث القاهرة .
١٨) أحمد أمين: ضحى الإسلام .
١٩) أحمدبن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية - تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة .
٢٠) د/ أحمد شلبى: المسيحية، مكتبة نهضة مصر .
٢١) آكرل (ج. ل) وآخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة ترجمة فؤاد كامل وآخرون مراجعة د/ زكى نجيب محمود مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م .
٢٢) الآمدى : الإحكام فى أصول الأحكام ضبطه الشيخ إبراهيم العجوز دار الكتب العلمية بيروت .
٢٣) الإيجى : المواقف ج٨ مكتبة المتنبى القاهرة .
٢٤) الأشعرى : رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٢م .
٢٥) البغدادى : الفرق بين الفرق تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد دار التراث القاهرة .
٢٦) الجرجانى : التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبيارى دار الريان للتراث القاهرة .
٢٧) .....: شرح المواقف الموقف الخامس - تحقيق د/ أحمد المهدى مكتبة الأزهر القاهرة .
٢٨) د/ جميل صليبا: المعجم الفلسفى دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٨٢م .
٢٩) الجوينى : العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية - تحقيق د/أحمد حجازى السقا .
٣٠) حسين عبد الرحيم مكى: توضيح العقيدة المفيد في علم التوحيد شرح الخريدة للدرديرى تصحيح موسى أحمد اللباد - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٦م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣١) .....: مذكرات التوحيد تصحيح موسى أحمد اللباد الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٥م .

٣٢) الخطيب الشربيني: السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم جـ١ .

٣٣) دار المشرق : المنجد في اللغة والإعلام دار المشرف بيروت الطبعة الثامنة والعشرون .

٣٤) الذهبى : تذكرة الحفاظ تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمى حيدر آباد الهند ١٣٧٤هـ .

٣٥) الرازى (أبو بكر): مختار الصحاح الطبعة الأولي ١٩٩٤م مطبعة الحلبى القاهرة .

٣٦) الرازى (الفخر): أساس التقديس .

٣٧) الزركلى : الأعلام الطبعة العاشرة ١٩٩٢م دار العلم للملايين بيروت .

٣٨) زكريا الأنصارى: فتح الرحمن بكشف مايلتبس فى القرن ج ١ .

٣٩) د/ سعد ظلام: شخصيات إسلامية جريدة الجمهورية ١٩٩٧م القاهرة .

٤٠) سيد قطب : فى ظلال القرآن، دار الشروق .

٤١) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث - القاهرة .

٤٢) .....: طبقات الحفاظ تحقيق علي محمد عمر الطبعة الأولى ١٩٧٣م مكتبة وهبة القاهرة .

٤٣) .....: طبقات المفسرين الطبعة الأولى ١٩٨٣م دار الكتب العلمية بيروت .

٤٤) الشعرانى : الطبقات الصغرى تحقيق عبد القادر أحمد عطا مكتبة القاهرة ١٩٩٠م .

٤٥) الشهرستانى: الملل والنحل تحقيق محمد سيد كيلانى دار الجيل بيروت ١٩٨٦م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٦) د/عبد المعطى بيومى: الماركسية فى مواجهة الدين حقائق ووثائق دار الأنصار القاهرة .

٤٧) د/ على الغرابى: تاريخ الفرق الإسلامية .

٤٨) د/ على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام ج١ دار المعارف القاهرة .

٤٩) الغزالى : المنقذ من الضلال تحقيق د/ عبد الحليم محمود الطبعة الثالثة ١٩٨٨م دار المعارف القاهرة .

٥٠) الفيروزآبادى: القاموس المحيط الطبعة الثالثة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .

٥١)كوربان (هنرى وآخرون: تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد تعريب نصير مروة وحسن قبيسى منشورات عويدات بيروت، باريس الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

٥٢) مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز وزارة التربية والتعليم ١٩٩٣م .

٥٣) د/ محمد شفيق غبريال وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة ١٩٨٧م دار نهضة لبنان للطبع والنشر بيروت .

٥٤) د/ محمد عبد الله دراز: المختار فى تيسير الوصول إلي أحاديث الرسول ﷺ دار الطباعة الحديثة القاهرة ١٩٣٦م .

٥٥) محمد عبده: بين الكلاميين والفلاسفة ج١ - تحقيق د/ سليمان دنيا .

٥٦) د/ محمد يوسف موسى: القرآن والفلسفة .

٥٧) د/ مراد وهبة: المعجم الفلسفى الطبعة الرابعة ١٩٩٨م دار قباء القاهرة.

٥٨) مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .

٥٩) نلينو (كارلو الفونسو): بحوث فى المعتزلة .

٦٠) وكالة أنباء الشرق الأوسط: موسوعة أعلام مصر الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner